٢ ـ الرسالة الثانية

مُجَدِّد الدِّين في القرن الثاني عشر

د. وَهْبَة الزُّحَيْلي

أستاذ الفقه الإسلامي وأُصوله

كلية الشريعة ـ جامعة دمشق

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. . وبعد:ـ

فإن الأُمم كالأفراد يعتريها أحياناً فترات من الضعف والتخلف وتغمرها غاشية من الغفلة والركود، وتشيع في أرجائها مظاهر ساذجة من الجاهلية غير عقلية ولا ناضجة وتصرفات رعناء للعامة الذين قد يؤثّرون في تفكير الخاصة، فتترك الأُمة العمل بالجوهر النقي، وتقعد عن تحقيق الغاية والهدف، وتعنى بالقشور والمظهر الأجوف، حتى يكاد يصبح ذلك المظهر السَّمج من الدين، والدين منه براء، ويعظم نشاط أهله، حتى لكأنهم يمثّلون الدين، وهم عن الدين الحقيقي بُعداء.

وإذا ما تكلم ناصح، أو تألم مخلص، أو اندفع غيور يدافع عن حرمات الله، سرعان ما اتهمه العوام والسطحيون ـ وهم مع الأسف أكثرية ـ بالمروق والشذوذ والعمالة لفئة ما،

وعدّوا أنفسهم أهل الملة، وسدنة الشريعة وحماة الإسلام.

وعلى هذا النحو مرت بالمسلمين في فترة حكم الخلافة العثمانية وما قبلها أزمنة حجب فيها صفاء الإسلام وبساطته ونقاؤه وجوهره وقوته الحقيقية.

ولكن فضل الله على أُمة الإسلام كبير، إذ حفظ للمسلمين أُصول الشريعة في القرآن والسُنّة الصحيحة، حتى تظل الشريعة حجة على العالم، وحكماً فصلاً في التنازع البشري، فلا تتعكر بانحرافات الناس، وبخاصة العوام، ولا تتأثر بمؤثرات الزمان، حفظاً لشعلة الحق أن تنطفىء، ولميزان العدالة أن ينخفض، ولبرج الصلاح أن ينهدم وينهار: «لا تزال طائفة من أُمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»[1].

وفي سبيل الحفاظ على الوحي الإلهي الأخير، يهيىء الله

(١) أخرجه مسلم (١٩٢٠) من حديث ثوبان. وهو حديث صحيح متواتر، انظر (الجامع الصغير، نظم المتناثر في الحديث المتواتر للشيخ جعفر الكتاني: ص٩٣).

تبارك وتعالى صوت الإصلاح الداوي بين الحين والآخر، وإن صاحبه بعض الأخطاء، لأن المصلح بشر، لتعهد الله عز وجل بحفظ الذكر المبين، فتثير حركة الإصلاح رعب الجبناء، وتقض مضاجع الأدعياء، وتهز أركان الجهل وكيان الجهلة، وتزلزل مواقع النفعيين: «إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة، على رأس كل مائة سنة، مَنْ يجدد لها دينها»[1].

فيشرق وجه الحياة الأنضر من جديد، وترسو سفينة الإيمان في بر الأمان والاستقرار عند المتعقلين الواعين، وتتضح الرؤية التي عتمتها غياهب الظلام، ويصحو الغافلون، ويستيقظ الراقدون.

ومما لا شك فيه، إنصافاً للحقيقة، لا لإرضاء أحد، وعملاً بآي القرآن العظيم: ﴿**ولا تبخسوا الناس أشياءهم**﴾ كان من أجرأ أصوات الحق، وأكبر دعاة الإصلاح، والبناء والجهاد لإعادة تماسك الشخصية المسلمة وإعادتها لمنهج السلف

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩١)، والحاكم ٤/ ٥٢٢، والبيهقي في «المعرفة» ١/ (٤٢٢) من حديث أبي هريرة، وهو صحيح.

الصالح : دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) لتجديد الحياة المسلمة، بعد ما شابها في أوساط العامة من خلافات، وأوهام، وبِدع، وانحرافات، فكان ابن عبدالوهاب بحق، زعيم النهضة الدينية الإصلاحية المنتظر، الذي أظهر موازين العقيدة الشرعية الناصعة، وأبان حقيقة الوحدانية والوحدة والتوحيد الخالص لله عز وجل، وأن العبادة هي التوحيد، وحوّل الشراع رأساً على عقب، للعمل الكامل بالقرآن والسُنّة ونبذ مظاهر الترف والبِدع، وتحطيم ما علق بالحياة المسلمة من أوهام، والعودة إلى الحياة الصالحة الأولى المبسطة التي لا تعرف غير الجهاد الدائم منهجاً، وقصد مرضاة الله مسلكاً، والتزام أحكام الإسلام قانوناً ومظهراً، وبروز دور العقل والفكر، والجد والعلم والاجتهاد فيما لا نص فيه أو ما فيه نص ظني، بغية تقدم الأُمة، وتصحيح مسار الحياة العامة التائه الحائر، لأن دين الإسلام لا يعرف الخرافة ولا الجهل ولا الضلالة، فكانت أعمال ابن عبدالوهاب وثبة جبارة، وقفزة رائعة لتصحيح خطأ الناس في العقيدة والعبادة، في وسط شوهت فيه مبادىء الإسلام ومناهجه.

الفصل الأول

من أين استمد ابن عبدالوهاب مبادئه، أو كيف تم تكوينه الشخصي، وكيف كان طريق الوثبة الإصلاحية عنده؟

الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ) هو المثل أو الرائد الأول للشيخ محمد بن عبدالوهاب (١١١٥-١٢٠٦هـ/ ١٧٠٣-١٧٩١م)، فقد كان حنبلي المذهب، متأثراً بابن حنبل إمام الحديث في عصره، في عنايته بالسُنّة النبوية واتباعها، واستنباط الفقه العملي منها، وتوفيقه البارع بين النصوص الشرعية وبين مراعاة المصالح الزمنية، وسد الذرائع المتخذة سبيلاً للحرام، وفي جهاده وصبره على البلاء، وتحمله لسع السياط في محنة خلق القرآن[1] في عهد المعتصم، وفي غير

(١) يقرر ابن تيمية: أن مذهب أحمد هو أن القرآن غير مخلوق، ولا يقول: إنه قديم، بل هو حادث بحدوث التكلم من الله سبحانه وتعالى بمشيئته وإرادته عندما يتكلم، وأنزل على النبي ﷺ كلامه بالروح الأمين: جبريل. (ابن حنبل لأستاذنا الجليل المرحوم محمد أبي زهرة: =

ذلك من الآراء في العقائد كالحكم بعدم تكفير مرتكب الكبائر من أهل التوحيد، وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، والإيمان المطلق بالقضاء والقدر، خيره وشره، والاعتقاد بصفات الله تعالى كما وردت دون تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا كيف.

والتصديق برؤية الله تعالى يوم القيامة، معتمداً كباقي الفقهاء والمحدثين على الكتاب والسُنّة، لا العقل المجرد[1].

وقد تعلم ابن عبد الوهاب دروسه الأولى على فقهاء الحنابلة، في مسقط رأسه ببلدة «العيينة» ثم تابع تحصيله العلمي في مكة والمدينة والبصرة.

وظهر بدعوته الجديدة، بعد أن اكتسب من سياحاته عقلاً حديداً، ونظراً ثاقباً[2].

= ص١٤٠).

(١) ابن حنبل للشيخ أبي زهرة: ص١٤٤.

(٢) زعماء الإصلاح في العصر الحديث للأستاذ أحمد أمين: ص١٠، دائرة المعارف لفريد وجدي: ١٠/٨٦٩ وما بعدها، الإسلام في =

وكـان المعلم الثـاني الـذي أثر في تكوين شخصية ابن عبدالوهاب هو الفقيه السوري الجريء الذي أحسن التعبير عن آراء الحنابلة، وهو تقي الدين أحمد بن تيمية (٦٦١ـ٧٢٨هـ) وتـلميذه ابن قيم الجـوزيه (٦٩١ـ٧٥١هـ) فقـد درس هذا المصلح كتب ابن تيمية في الاعتقاد والفقه، وأمعن في فهمها وآمن بمـا جاءت به، لاعتقـاده أنهـا تمثل السُنّة النبوية، وأن مذهبـه في العقـائد هو مذهب جمهور المسلمين، فهو يمنع التقرب بالموتى ولو كانوا من أهل الصلاح والتقوى في حياتهم، وكان مذهبه في الفقه اتباع كتاب الله، وسُنّة رسوله ﷺ.

وقامت نواة الدولة السعودية الصغيرة التي تأسست بالتعاون بين ابن عبـدالـوهـاب ومحمـد بن سعـود في الدرعية، وفيها التحقيق العملي لآراء ابن تيمية فيما يتعلق بزيارة الأضرحة، وقبور الصالحين، بل قبر النبي ﷺ، ومحاربة البِدع بكل قوة، وإحياء السُنّة بالأعمال، حتى عادوا بالإسلام المطهر إلى سيرته الأولى لدى السلف الصالح الأبرار، دون بِدع ولا خرافات، لأن

= القرن العشرين للعقاد: ص١٠٢ وما بعدها.

البِدع تمزِّق وحدة المسلمين وجماعتهم، وتذهب بجمال دينهم[٦].

وما زالت المملكة السعودية منذ إعادة تكوينها عام ١٩٢٥م تطبق شريعة الإسلام، وتنفذ بالفعل آراء ابن عبدالوهاب في قمع البِدع، وعدم الغلو في الصالحين والتبرك باثارهم، ولكنها أخذت بأساليب ووسائل المدنية الحديثة النافعة، مما يدل على حيوية هذه الدعوة وأصالتها وانطوائها على عناصر الحياة المتجددة ومقومات النمو والازدهار والتقدم.

وجهر ابن عبدالوهاب بدعوته سنة ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م، فأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، فكانت دعوته الشعلة الأولى

---

(١) ابن حنبل لأبي زهرة: ص٤٠١، وابن تيمية لأبي زهرة أيضاً: ص٥٣٠، العقيدة والشريعة لجولد تسيهر: ص٢٦٧، تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان: ٤/ ١٩، الكلام والفلسفة للدكتور عادل العوا: ص٤٩، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور محمد البهي: ص١٦٣ وما بعدها، زعماء الإصلاح في العصر الحديث: ص١٣، دائرة المعارف لفريد وجدي: ١٠/ ٨٦٩، وجهة =

لليقظة الحديثة في العالم الإسلامي كله[1]، وقد وجه اهتمامه لمسألة التوحيد التي هي عماد الإسلام والتي دخلها الفساد لدى كثير من الناس، فالتوحيد أساسه ألا يعبد إلا الله وحده بجميع أنواع العبادة، وهذا هو معنى لا إلـه إلا الله.

فمعنى «لا إلـه إلا الله»: أنه لا يستحق العبادة والتعظيم إلا هو[2].

وكان توفيقاً إلهياً عجيباً لابن عبدالوهاب، ذلك التلازم بين الدعوة الجديدة وقيام الدولة السعودية، فقد ناصره وحماه وتبنى آراءه أمير الدرعية، محمد بن سعود سنة ١١٦٠هـ/ ١٧٤٤م الذي استطاع إخضاع أكثر جزيرة العرب لسلطته، وسلطة آل سعود. ثم أعاد عبدالعزيز آل سعود توحيدها، وإقامة الدولة

العالم الإسلامي للأستاذ مالك بن نبي: ص٤٩.

(١) الأعلام للزركلي: ١٣٧/٧، الإسلام في القرن العشرين للعقاد: ص١٠٣.

(٢) زعماء الإصلاح في العصر الحديث لأحمد أمين: ص١٠ وما بعدها.

السعودية [في أكثر جزيرة العرب في أول الرّبع الثاني من القرن العشرين[1] باسم المملكة العربية السعودية].

وقد تم التعاهد بين ابن عبدالوهاب وابن سعود على النصرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصيغة كانت تستعمل بين عرب الجاهلية «الدم بالدم . . . والهدم بالهدم» أي دمي دمك، وهدمي هدمك.

وكان من أهم مقومات نجاح ابن عبدالوهاب: أنه كان قوي التأثير في أصحابه جذاب الحديث، قادراً على إلهاب نار الحماسة في قلوب أعوانه، وعلى استثمار محبتهم العارمة للحرب في سبيل قضيته[2].

وقد أضاف لمبادىء وأفكار ابن تيمية مجهوداً خاصاً، تجلى في تأكيده الحرب ضد البِدع والخرافات.

---

(١) نظام الإسلام للدكتور وهبه الزحيلي: ص٤٩١، الإسلام في القرن العشرين: ص١٠٥.

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان: ٤/ ٢٠.

وقد دعمه الزعيم محمد بن سعود، فقام بمغامرات حربية لإقامة السُنّة الصحيحة[1] وإعادتها، ولحرص ابن عبدالوهاب الشديد على مبدأ التوحيد، وتطهير المجتمع الإسلامي من شائبة الشرك والبِدع، سمي هو وأتباعه بـ «الموحدين». أو «أهل التوحيد» «إخوان من أطاع الله» أو «أهل الفرقة الناجية». وسماهم خصومهم بالوهابيين نسبة إليه، وشاعت التسمية الأخيرة بين الناس... وبخاصة الأوربيين، وأخطأ بعضهم فجعل هذه الحركة الإصلاحية «مذهباً» جديداً في الإسلام، تبعاً لما افتراه خصومهم، ولا سيما الترك العثمانيون[2] بل وأطلق عليهم اسم «الخوارج»، ومنهم مَنْ جعلهم كالروافض والبابية[3].

---

(١) العقيدة والشريعة، جولد تسيهر: ص٢٦٧.

(٢) الأعلام للزركلي: ١٣٧/٧، زعماء الإصلاح: ص١٠

(٣) جولد تسيهر، المرجع السابق: ص٢٦٩، دائرة معارف وجدي: ٨٧٢/١٠ والبابية: أتباع سيد علي محمد المولود في بوشير في إيران سنة ١٨٢١، ادعى أولاً نزول الوحي الإلهي عليه، وأنه المهدي المنتظر الذي بشر النبي بظهوره ثم دعا نفسه بأنه «المرآة» التي بها يشاهد الله نفسه (بروكلمان: ١٦٠/٤ وما بعدها).

ولقد حوصرت هذه الحركة حصاراً شديداً، واستخدمت الدولة العثمانية والي مصر محمد علي باشا الكبير، أداة للقضاء على دولتهم، فحاربهم بجيش قوي من الفرسان بقيادة ابنه «طوسون» فكانت الحرب بينهم سجالاً، ثم انتصر عليهم، وفتح المدينة في تشرين الثاني سنة ١٨١٢م، وبعد شهرين في كانون الثاني من العام التالي سلّم الشريف غالب مكة إلى المصريين، وفي الصيف استطاع هؤلاء أن يحتلوا الطائف أيضاً[١].

وتجددت الحرب في آب سنة ١٨١٦م؛ فأرسل محمد علي ابنه بالتبني إبراهيم باشا الكبير، فسار من القاهرة، وحاصر الدرعية في نيسان سنة ١٨١٨م واشتد الحصار، حتى اضطر في ٩ أيلول سنة ١٨١٨م الأمير عبدالله بن سعود إلى الاستسلام[٢].

---

(١) بروكلمان: ٤/٢٢ وما بعدها. دائرة معارف وجدي: ١٠/٨٧٠ وجهة العالم الإسلامي: ص٤٩. الجبرتي في مقال جلال الكشك في مجلة الحوادث عدد ١١٧٤.

(٢) بروكلمان: ٤٠/٢٦، الجبرتي في مقال جلال الكشك في مجلة =

ويلاحظ أن هذه الحروب التي شنت على جماعة هذا المصلح والأوصاف التي أطلقت عليهم، كانت ذات هدف سياسي لا ديني، ومن أجل مصالح اقتصادية ولتحقيق نفوذ وسيطرة العثمانيين، ودفاعاً عن مصالح شخصية سياسية ومادية، وليس عن الإسلام أو المسلمين، ولا غيرة على الدين، ولا نصرة للدين، والسبب أن كراسة ابن عبدالوهاب كانت أول منشور مكتوب على نطاق العالم العربي لشرح أهداف ومبادىء حركة ثورية ضد السلطة العثمانية[1].

لذا لم تلق الدعوة الوهابية نجاحاً كبيراً خارج جزيرة العرب، لقيام ألوان متعددة من الدعايات المغرضة ضدها، ولتعلق المسلمين بالخلافة العثمانية رمز الوحدة الإسلامية.

وقد أدت هذه الدعاية في أوساط المسلمين إلى استنكار وصف «الوهابية» و«الوهابي» حتى بين المشتغلين بالعلوم الشرعية، ومحاولة التبرؤ من ذلك إخلاصاً للإسلام!!

= الحوادث عدد ١١٧٦.

(١) الجبرتي في مجلة الحوادث عدد ١١٧٤: ص٦٨، ٧١.

وذلـك لا ريب تمـزيق للوحـدة الواجبة بين المسلمين، وتحطيم لمبدأ التعاون المفروض عليهم، ولون من ألوان الجهل والسـطحية والتسـرع في إصـدار الأحكـام، فما أسرع صغار طلاب العلوم الشرعية إلى وصف كاتب أو متحدث بأنه ملحد زنديق!!

الفصل الثاني

أصالة المبادىء التي دعا إليها محمد بن عبدالوهاب وشرعيّتها

إن كل منصف مخلص، متجرد واع لمبادىء الإسلام وأحكامه، لا يجد فيما دعا إليه المصلح محمد بن عبدالوهاب الداعي الكبير أي انحراف أو مجافاة أو مصادمة لما جاء به الإسلام، وإنما دعوته تمثل مبادىء الشرع الأصلية، وهي شرعيّة روحاً ودماً ونزعة ومظهراً، فهي ليست بدعاً في الإسلام، ومزيتها ـ على حد تعبير الدكتور عبدالله بن تركي مدير جامعة محمد بن سعود الإسلامية[1] ـ لا تتمثل في شيء جديد في مبادئها، وما دعت إليه، فإنها لم تأت بجديد، ولا جديد في الإسلام، فهو أحكام ووحي نزل من عند الله تبارك وتعالى على

(١) من تقديم لمؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ـ ملحق المصنفات: ص١.

محمد ﷺ . . . ولم يبق بعد وفاته أمام أمته وأتباعه إلا اقتفاء أثره، والاستمساك بالمحجة البيضاء التي ترك الأمة عليها.

ويتضح ذلك فيما تتلخص به آراء ابن عبدالوهاب الأساسية[1]:

١ ـ الرجوع بالإسلام إلى ما كان عليه في الصدر الأول.

٢ ـ تخليص التوحيد مما شابه من شرك.

٣ ـ إنكار التوسل الممنوع شرعاً بالأولياء والصالحين [الأموات].

٤ ـ طرح البِدع والخرافات.

---

(١) حاضر العالِم الإسلامي للدكتور محمود محمد زيادة: ٢٢ وما بعدها، دائرة معارف وجدي: ١٠/٨٦٩ وما بعدها، الاتجاهات الحديثة في الإسلام. . للمستشرق الانجليزي جيب: ص٥٧، ٦٣ وما بعدها، ذيل الملل والنحل: ص٥٧، معالم الثقافة الإسلامية للدكتور عبدالكريم عثمان: ص٥٣٦ـ٥٤٠ وانظر أيضاً بالفرنسية: مقال مرجليوث في دائرة المعارف الإسلامية: ٤/١١٤٤، النسخة الفرنسية، وكتاب الدكتور هنري لاووست «محاملة حول أفكار ابن تيمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ص(٣٢ـ٣٣) مقال رابح جمعه في مجلة الفيصل عدد ١٥ ص ٨٠).

وكان من أبرز معطيات هذه الدّعوة عملين كبيرين:

أولهما: أنها فتحت باب الاجتهاد في الفروع بعد أن ظل مغلقاً منذ سقوط بغداد في سنة ٦٥٦هـ.

وثانيهما: ضرورة القيام بواجب الجهاد، وإحياء هذه الفريضة التي أصابها الوهن، فكانت الدّعوة ثورة عارمة على الاستبداد والضعف والانحلال الذي آل إليه العالم الإسلامي[١].

ولقد أعلن الإمام ابن عبدالوهاب مبادئه فقال[٢]:

إعلم أن من أعظم نواقض الإسلام عشرة:

الأول: الشرك في عبادة الله (وحده لا شريك له)، والدليل قوله تعالى:

﴿إن الله لا يغفر أن يُشْرَكَ بِهِ ويَغفِرُ ما دُونَ ذٰلك لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

---

(١) العالم الإسلامي والاستعمار الثقافي للأستاذ أنور الجندي ص: ٧٠.

(٢) مؤلفات الشيخ ابن عبد الوهاب، القسم الخامس ـ الرسائل الشخصية: ص٢١٢ ٢١٤ـ٣٨٥.

ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو [الأضرحة أو المزارات، ومنه دعاء غير الله].

الثاني: مَنْ جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوهم ويسألهم الشفاعة، كفر إجماعاً، [وقال تعالى: ﴿**ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾].

الثالث: مَنْ لم يكفر المشركين، أو شكَّ في كفرهم، أو صحح مذهبهم كفر إجماعاً، [قال تعالى: ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**﴾].

الرابع: مَنْ اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطاغوت على حكمه، فهو كافر، [قال تعالى: ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾].

الخامس: مَنْ أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ، ولو عمل به، كفر إجماعاً، والدليل قوله تعالى: ﴿**ذٰلك بأنَّهم كَرِهُوا ما أَنزلَ اللهُ فأحبطَ أعملَهُمْ**﴾ [محمد: ٩].

السادس: مَنْ استهزأ بشيء من دين الله أو ثوابه أو عقابه كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿**قُلْ أبالله وءَايتِهِ ورَسُولِهِ كُنتُم تَستهزِئون، لا تعتذروا قد كفرتُم بعد إيمنكُم**﴾. [التوبة: ٦٥، ٦٦].

السابع: السحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿**وما يُعلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حتَّى يَقُولاَ إنَّما نحنُ فِتنةٌ فَلاَ تكفُر**﴾. [البقرة: ١٠٢].

الثامن: مظاهرة المشركين، ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنكم فإنَّهُ منهُم إنَّ الله لا يَهدِي القومَ الظَّلمينَ**﴾. [المائدة: ٥١].

التاسع: مَنْ اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباعه ﷺ، وأنه يسعه الخروج من شريعته، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليهما السلام، فهو كافر، [قال تعالى: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه**﴾].

العاشر: الإعراض عن دين الله، لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أظلم ممَّن ذُكِّر بأيتِ ربهِ ثُمَّ**

أعرضَ عنها إنَّا مِنَ المُجْرِمينَ مُنتَقِمونَ﴾. [السجدة: ٢٢].

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد، والخائف إلا المكره وكلها من أعظم ما يكون خطراً، ومن أكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه، وأليم عقابه.

* * *

ويحسن بإيجاز استعراض آراء محمد بن عبدالوهاب، كل رأي أو مبدأ على حدة، لنعلم مدى أصالته، ومطابقته لدعوة الإسلام الأولى:

١ـ الرجوع بالإسلام إلى ما كان عليه في الصدر الأول:

يعلم كل مسلم يقيناً وبداهة أن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم في القرون الثلاثة الأولى الذين شهد لهم النبي ﷺ بالخيرية، هم صفوة المسلمين الذين صنعوا ـ بتأييد الله ـ تاريخ الإسلام، والتزموا مبادىء الإسلام عقيدة وشريعة، ومنهجاً وسلوكاً، وعلماً وعملاً وإعداداً، عملوا بكتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ، فهم أهل للاقتداء بهم واقتفاء سيرتهم، واتباع تربيتهم. وذلك بنص القرآن الكريم:

﴿والسَّـبقـونَ الأَوَّلـونَ من المُهـجرينَ والأَنصار والَّذينَ اتَّبَعُوهُم بإحسـنٍ رضيَ الله عنهم ورضُوا عنهُ وأَعدَّ لهُم جَنَّـتٍ تجري تحتها الأنهـر خـلدينَ فيها أَبداً ذٰلك الفوزُ العظيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وأما اتباع القرآن والسُّنّة: فهو محض هدف الإسلام وغاية تشريع الإلـه، ومطلب الوحي كله:

﴿قَد جَآءَكُم من الله نُورٌ وكِتَـبٌ مُّبينٌ، يَهدي به اللهُ من اتَّبَعَ رِضوانهُ سُبُلَ السَّلـمِ ويُخرِجُهُم من الظُّلُمـتِ إلى النُّورِ بإذنهِ ويهدِيهم إلىٰ صراطٍ مستقيم﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

﴿يـٰأَيُّهـا الَّـذينَ ءَامَنُـوٓا أطيعوا الله وأطيعُوا الرَّسولَ وأُولي الأَمرِ منكُم﴾ [النساء: ٥٩].

﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَد أَطاعَ الله﴾ [النساء: ٨٠].
﴿ومَآ ءَاتـٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ومَا نَهـٰكُم عنهُ فانتهُوا﴾[1] [الحشر: ٧].

وفي الحديث الصحيح: «تركت فيكم أمرين، لن تضلوا،

(١) قسم العقيدة من مؤلفات الشيخ ابن عبدالوهاب: ص٢٦٠.

ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسُنّة رسوله»[1]، «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»[2] «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي، فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسُنتي وسُنّة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[3].

وهكذا يتبين أن الرجوع إلى ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه أمر ضروري في الإسلام، لا يكرهه إلا شاذ مارق.

٢ـ تخليص التوحيد مما شابه من شرك:

من المعروف بداهة أن مزية الإسلام الجوهرية: هي كونه دين التوحيد الخالص لله عز وجل من شوائب الشرك والوثنية، وأنه قام لهدم أركان الوثنية، وتحطيم الأصنام، وأن العبادة هي

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» بلاغاً ٢/ ٨٩٩.

(٢) حديث صحيح رواه النووي في كتاب الحجة بإسناد صحيح عن عبدالله بن عمرو.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح.

التوحيد[1].

﴿واعبُدُوا اللهَ ولا تُشرِكوا بِهِ شيئاً﴾ [النساء: ٣٦].

والتوحيد نوعان[2]: توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد الألوهية والعبادة، والأول: هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته، وأفعاله وأسمائه:

﴿هُو الأَوَّلُ والأَخِرُ والظَّاهِرُ والباطِنُ وهُوَ بِكُلِّ شيءٍ عليمٌ﴾ [الحديد: ٣].

﴿قُل هُو اللهُ أَحَدٌ. اللهُ الصَّمَدُ، لَم يَلِد ولم يُولَد. ولَم يَكُن لَّهُ كُفُواً أحد﴾ [الإخلاص].

والثاني: ما تضمنته سورة:

---

(١) مؤلفات الشيخ ابن عبدالوهاب، القسم الأول ـ العقيدة والآداب الإسلامية: ص٩.

(٢) المرجع السابق: ص٨٩ والقسم الخامس ـ الرسائل الشخصية: ص١٥٠ وما بعدها، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن آل الشيخ ص١١، الحركة الوهابية للدكتور محمد خليل الهراس: ص١٤ وما بعدها.

﴿قل يـأيُّها الكَـفِرونَ﴾ [الكافرون: ١].

وقوله تعالى:

﴿قُلْ يـأهلَ الكتـٰب تعالوا إلىٰ كَلِمَةٍ سـوآءٍ بيننا وبينكم أَلَّا نعبُدَ إلَّا الله ولا نُشرِكَ بِهِ شيئاً ولا يتَّخذَ بعضُنا بعضاً أربَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فإن تولَّوا فَقُولُوا اشهدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

قال شيخ الإسـلام ابن تيمية: «التوحيد الذي جاءت به الرسل إنما يتضمن إثبات الألوهية لله وحده، بأن يشهد أن لا إلـه إلا الله: لا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالى إلا له، ولا يعـادى إلا فيه، ولا يعمـل إلا لأجله، وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات[1].

وقد اهتم ابن عبد الوهاب[2] بالدعوة إلى التوحيد، ورفض كل مظاهر الشرك والوثنية، وحذّر من أنواع الشرك الأربعة: شرك

---

(١) فتح المجيد، المرجع السابق ص١٢.

(٢) مؤلفـات الشيخ ابن عبدالوهاب في العقيدة: ص١٨، ٦٨، ٩٨، ١٠٠، ٢٨٢، والـرسـائل الشخصية: ص٨٨-٩١، ٩٥ وما بعدها، ١٢٠ وما بعدها.

الألوهية، وشرك الربوبية، وشرك الارادة، وشرك الطاعة، وندد بمَنْ يخلط فيها، فقال: إن شرك العبادة هو شرك الألوهية، وشرك الربوبية: هو شرك الملك، ومن الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا، [وطاعة المخلوق في معصية الخالق].

وأورد الآيات والأحاديث الكثيرة التي تندد وتحارب الشرك بمختلف صنوفه، مثل قوله تعالى:

﴿إنَّ اللهَ لا يغفِرُ أن يُشرَكَ بِهِ ويَغفِرُ ما دُونَ ذٰلكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

﴿واجنُبني وبَنيَّ أن نَّعبُدَ الأصنامَ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٥].

ومثل حديث البخاري عن ابن مسعود: «مَنْ مات وهو يدعو من دون الله نداً، دخل النار»[١]، وحديث مسلم عن جابر: «مَنْ لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومَنْ لقيه يشرك به شيئاً دخل النار»[٢] وحديث أحمد والطبراني والبيهقي: «أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر، فسئل عنه فقال: الرياء»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٩٧).

(٢) أخرجه مسلم (٩٣) (١٥٢).

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ٤٢٨، والبيهقي «الشعب» (٦٨٣١) من حديث =

والخلاصة: أن لا يرضى أي مسلم بديلاً عن توحيد الله ورفض كل أنواع الشرك، لأن أساس عقيدة المسلم هو التوحيد، والنطق بالشهادتين، والبراءة من الشرك وأهله.

وكما يطلب التوحيد في العقيدة، يطلب التوحيد عند ابن عبدالوهاب في التشريع، فالله وحده هو مشرِّع العقائد، وهو وحده الذي يحلل ويحرم، فليس كلام أحد حجة في الدين إلا كلام الله وكلام رسوله، فالله يقول:

﴿أَم لَهُم شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُوا لَهُم مِنَ الدِّينِ ما لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

٣ـ إنكار التوسل بالأولياء والصالحين الأموات:

حدّد الله تبارك وتعالى طريق الوصول إليه بطريقين هما: العمل الصالح، والدعاء المباشر.

أما العمل الصالح: فواضح في قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّها الَّذينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وابتغُوٓاْ إليهِ الوسيلَةَ وجَـٰهِدُوا في سَبيلِهِ لَعَلَّكُم تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

= محمود بن لبيد أن النبي ﷺ..، والطبراني في «الكبير» (٤٣٠١) من حديث محمود بن لبيد عن رافع بن خديج أن رسول الله ﷺ...

والمقصود بالوسيلة خلافاً لما يشيع عند أهل التوسل[1]: هو ما يتوصل به إلى تحصيل المقصود، وهي القربة، ومعنى الآية: يا أيها الذين اتصفتم بالإيمان خذوا لنفسكم الوقاية من عذاب الله، بامتثال أمره، واجتناب نهيه، وتقربوا إليه بالطاعات، والعمل بما يرضيه فإن هذا هو الوسيلة إليه: ﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة**﴾ وجاهدوا أنفسكم بكفها عن المحرم، والتزامها الصراط المستقيم، وجاهدوا أعداء الإسلام، حتى يكون الدين كله لله، ومن المعلوم أن الجهاد في سبيل الحق والعدل وخير الأمة والوطن، جهاد في سبيل الله.

وأما الدعاء المباشر لله بدون وسائط ولا وسائل، خلافاً لصنيع البشر عند قضاء حوائجهم لبعضهم، فيتمثل في آيات كثيرة منها:

﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادعُوني أستَجِبْ لَكُم**﴾ [غافر: ٦٠].

فالدعاء هو العبادة كما ثبت في السُنّة[2] وهو طريق الثواب

---

(١) التفسير الواضح للشيخ محمد محمود حجازي: ٦/ ٤٩، ١٥/ ٢٨.

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد ٤/ ٢٦٧، وابن أبي شيبة ١٠/ ٢٠٠، =

المكافىء للأعمال.

ومن الآيات المبينة طريق الدعاء بدون وسيلة:

﴿وإذا سألَكَ عِبَادي عنّي فإنّي قَريبٌ أُجِيبُ دَعوةَ الدَّاعِ إذا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

﴿أَمَّن يُجيبُ المُضطرَّ إذا دعاهُ ويكشفُ السُّوء﴾ [النمل: ٦٢].

﴿يَـأَيُّها النَّاسُ أنتُمُ الفُقَرآءُ إلى اللهِ واللهُ هُوَ الغنيُّ الحميدُ﴾ [فاطر: ١٥].

﴿قُل لآ أملِكُ لِنَفسي نَفعاً ولا ضَرّاً إلَّا مَا شَآءَ اللهُ﴾

= والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٤)، وأبو داود (١٤٧٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، والترمذي (٢٩٦٩) و(٣٢٤٧) و(٣٣٧٢)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٦٤)، وصححه ابن حبان (٨٩٠) من حديث النعمان بن بشير، رضي الله عنه.

وصححه الحاكم ١/ ٤٩٠-٤٩١ و٤٩١ ووافقه الذهبي.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه أبو يعلى في «معجمه» ص٣٤٦ عن البراء بن عازب وإسناده صحيح.

[الأعراف: ١٨٨].

﴿قُل إنّي لا أملِكُ لَكُم ضَرّاً ولا رَشداً. قُل إنّي لَن يُجيرَني مِنَ اللهِ أحدٌ وَلَن أجِدَ مِن دُونِهِ مُلتَحَداً﴾ [الجن: ٢١، ٢٢].

وبناء عليه فسَّر الإمام ابن عبد الوهاب «الجامع لعبادة الله وحده» في رسالته السابعة[1] بأنها طاعة الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وأبان أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله تعالى، وهي: الدعاء، والاستعانة، والاستغاثة، وذبح القربان، والنذر، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والمحبة والخشية، والرغبة، والرهبة، وغير ذلك؛ كله لله، فالعبادة: هي إفراد الله وحده بأنواع العبادة قولاً وفعلاً، كما مثل فيما ذكر.

ومن ذلك: الشفاعة؛ لا تطلب إلا من الله، ولا تكون إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، ولا يرضى إلا ما كان خالصاً لله وحده صواباً، وهو ما شرعه على لسان رسوله، قال تعالى:

---

(١) مؤلفاته، قسم العقيدة والآداب: ص٣٧٩، وانظر أيضاً ص٣٥-٤٢، والقسم الخامس ـ الرسائل: ص٩٠، ١١١-١١٣.

﴿مَن ذَا الَّذِي يَشفَعُ عِندَهُ إلَّا بِإذْنِه﴾ [البقرة: ٢٥٥].
﴿ولا تَنفَعُ الشَّفَـعَةُ عِندَهُ إلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣].

وقد عرفنا أن ابن عبدالوهاب جعل مخالفة هذا من نواقض الإسلام العشرة: «مَنْ جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة، كفر إجماعاً»[1].

كما أنه خصص الباب ١٨ من قسم العقيدة لما «جاء أن سبب كفر بني آدم، وتركهم دينهم، هو الغلو في الصالحين» وأن عقيدته ودينه هو مذهب أهل السُنّة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين، مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة، وهو إخلاص الدين لله، والنهي عن دعوة الأنبياء والأموات من الصالحين، وغيرهم[2].

---

(١) الرسالة الثانية والثلاثون في قسم الرسائل الشخصية: ص٢١٣، والقسم الأول في العقيدة ص٣٨٥.

(٢) القسم الأول من مؤلفاته في العقيدة والآداب: ص٥٦ والقسم الخامس ـ الرسائل: ص١٥، ١٧٦، ١٨٦، ٢٠٠، ٢٠٦، ٢٣١ وما بعدها، ٢٤٢.

ومما لخصه من كلام ابن تيمية (رقم ١٠١): من جوز أن يطلب من المخلوق، كما يطلب من الخالق من كشف الشدائد، فكفره أشد من كفر عباد الأصنام، فإنهم لا يطلبون منها كما يطلب من الله، كما قال تعالى:

﴿وإذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ في البحرِ ضَلَّ مَن تَدعُونَ إلَّا إيَّاهُ. . .﴾ [الإسراء: ٦٧].

وذلك لأنه لا يملك النفع والضر غير الله، ولذا أنكر الله تعالى على من يدعو أحداً من دونه، ممن لا يملك ضراً ولا نفعاً، كقوله تعالى:

﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ [فاطر: ٣٥].

﴿قُل أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللهِ مَا لَا يَنفعُنا ولا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام: ٧١].

﴿ولَا تَدُعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لَا يَنفعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فإن فعلتَ فإنَّكَ إذاً مِنَ الظَّـلِمِينَ﴾[1] [يونس: ١٠٦].

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: ص١٦٧.

والحقيقة أن اتصال العبد بربه لا داعي أصلاً فيه للواسطة، فلا إلـه إلا الله تعني نفي كل الوسائط، فلا ملجأ إلا إلى الله ولا اعتماد في الدنيا والآخرة إلا عليه[1].

٤ـ طرح البِدع والخرافات:

وجـد المجـدد ابن عبدالوهاب مظاهر في العالم المسلم تشيع بين العـوام، كلهـا بِدع شاذة، وتخريفات واهية، تغاير تعـاليم الإسـلام، مثل بناء القباب على القبور وتجصيصها، وكسـوتها بالحرير المذهب، ووضع العمائم الخضراء عليها، وتشييد الأبنية عليهـا، واتخـاذهـا مسـاجـد، والنـذر للأولياء وأصحـاب القبـور، والـطواف حولها أحياناً، والاعتقاد بالنفع والضـر لشجـر أو حجـر، أو بشـر، والاستغـاثـة بالصالحين، والاستعـانـة بهم، والصـلاة إلى قبورهم، والتمسح بالقضبان والتبـرك بالعمدان أو بالشجر والحجر، وشد الرحال إلى قبور أحـد الأولياء، وزيارة القبـر لدفـع الكـرب، أوجلب النفـع، والمراسلة تارة.. والاهتمام بالحجب والرقى (العزائم) والتمائم

(١) زعماء الإصلاح ص١٤، الحركة الوهابية للدكتور محمد خليل هراس ص١٧ وما بعدها و٢٣ وما بعدها.

والسحر[1] للوقاية من المكروه، والاحتفال بالموالد، وبخاصة في مصر كمولد الحسين والبدوي، ومنكرات المآتم والجنائز، وحفلات التشييع في الوقت الحاضر، ونفقات أيام الخميس وليالي الجمع والأربعين والذكرى السنوية، وأيام الأعياد، واستئجار قرّاء القرآن للقراءة على روح الأموات، والتبرك بآثار فلان وفلان، وحلقات الذكر المصحوبة بالطبول والصنجات والسماع والرقص، مما لم يكن في صدر الإسلام، وبِدع الصوفية المتنوعة، ولا سيما التأويلات والخوارق ونحو ذلك[2].

---

(١) غبر على البادية زمان يتكلون فيه على التعاويذ والتمائم وأضاليل المشعوذين والمنجمين، ويدعون السعي من وجوهه، توسلاً بأباطيل السحرة والدجالين حتى في الاستسقاء ودفع الوباء، فكان حقاً على الدعاة أن يصرفوهم عن هذه الجهالة، وكان من أثر الدعوة الوهابية أنها صرفتهم عن ألوان من البِدع.. والخرافات (الإسلام في القرن العشرين للعقاد: ص١٠٩).

(٢) مؤلفات ابن عبد الوهاب، القسم الخامس ـ الرسائل: ص١٥٠، ١٧٦، وما بعدها، ١٨٦، فتاوى ابن عبدالوهاب الملحقة بالقسم الثالث من مختصر سيرة الرسول عليه السلام: ص١٠١، قسم العقيدة: ص٣٢، ٥٦، ٦٠-٦٦، ٦٨، وما بعدها، ١٢٩، ١٣٨، =

فهال ابن عبد الوهاب تلك البدع، ودعا إلى نبذها والتوجه بالعبادة والدعاء إلى الله وحده، لا إلى المشايخ والأولياء والأضرحة، ولا بوساطة التوسل و[الاستغاثة]. وزيارة القبور للدعاء والاعتبار، لا للتوسل والاستشفاع[1]، فقرر أنه لا [يستعان ويستغاث] إلا بالله، وأن النذر لله لا للوليّ، وأنه لا بد من إعادة الحياة اليومية إلى بساطتها في عصر السلف وتحريم كل صنوف الترف، وجعل عصر صدر الإسلام نموذجاً يحتذى

٢٢٥، ٣٠٢، ملحق المصنفات: ص٨٦، ٩٠-٩٧، ١٠٩، العقيدة والشريعة جولد تسيهر: ص٢٦٨، الإسلام في القرن العشرين: ص١٠٧.

(١) الذي يعتبر شركاً على الحقيقة في الدعوة الوهابية ليس هو بناء القبور على وجه الأرض ولا زيارتها في انتظام بل هو ما يرتكب أثناء الزيارة لهذه القباب من دعاء صاحب القبر والاستغاثة به وطلب الحاجات واستمداد البركات منه ثم وضع النذور في صندوقه وسوق الذبائح إلى ساحته والاهلال عليها باسمه فهذه الأمور ذريعة إلى الشرك، وهدم القبور وتسويتها إنما هو صيانة لجانب التوحيد لا انتهاك حرمة الموتى. فالوهابيون يعرفون قدر الموتى، لا أطلال القبور (الحركة الوهابية للدكتور هراس: ص١٧، ١٩، ٤٥).

وقاعدة للأخلاق والسلوك والعبادة والعقيدة.

وأما [دعاء مقبور] أو قبر، فهو شرك لا يرضاه الله، وهو هدم للتوحيد الذي جاء به الإسلام، وتذلّل للمخلوقات، لا لله تعالى، مما يؤدي إلى انهيار عزة الامة، وفقد سيادتها، وتذلّلها للطواغيت، وتعطيلها الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وذلك أشبه بالوثنية الجاهلية:

﴿ما نَعبُدُهم إلَّا ليقُرّبونا إلى اللهِ زُلفى﴾ [الزمر: ٣].
﴿هؤلاءِ شُفعاؤُنا عندَ اللهِ﴾ [يونس: ١٨].

ولا يصلح آخر زماننا إلا بما صلح به أوله، فلا بد من العودة إلى الحياة الشرعية الأولى، حيث التوحيد الخالص الصحيح، والعزة الحقة، ولا بد من هدم هذه البِدع، ولو بالقوة[1].

وفي سبيل ذلك جدّد ابن عبدالوهاب عقيدة التوحيد في

---

(١) زعماء الإصلاح في العصر الحديث: ص١١، ١٣، ١٤، ١٧، ٢٠، العقيدة جولد تسيهر: ٢٦٨.

البلاد النجدية داعياً إلى الدين الخالص وتصفيته من شوائب الشرك المتراكمة، واهتم بتصحيح تصور الناس نحو العقيدة، وتثبيت قواعدها، وتجريدها من الشوائب التي أدخلت عليها، حتى ظُنَّ أنها من الدين.

فقد أمر النبي ﷺ بهدم بَنيّة (كعبة) لأهل الطائف على اللاّت [مقام]، ونهى عن محاكاة أهل الجاهلية الذين كانوا يتخذون شجرة تسمى «ذات أنواط» يعلقون بها سلاحهم، ويعكفون حولها ويعظمونها، وأمر عمر بقطع شجرة بيعة الرضوان عندما رأى الناس يأتونها ويصلون عندها، وقال عمر لكعب الأحبار الذي خلع نعليه، ولمس برجليه الصخرة عند فتح بيت المقدس: «ضاهيت والله اليهود يا كعب»[1].

وقال النبي ﷺ: «قاتل الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[2] وقال ابن عباس: «لعن رسول الله ﷺ زائرات

---

(١) جوامع السيرة لابن حزم: ص٢٣٨، زعماء الإصلاح: ص١٦.
(٢) أخرجه البخاري (٤٣٧)، ومسلم (٥٢٠) (٢٠).

القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج»[1] وقال جابر: «نهى النبي ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه»[2].

وأمر النبي علياً أن لا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه[3]، وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تُشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»[4].

وكان ابن عبد الوهاب يحذر من المغالاة في تعظيم النبي ﷺ مستشهداً بقول أنس: «إن أناساً قالوا: يا رسول الله يا خيرنا

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢٩٩، وأبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي ٤/ ٩٤-٩٥، وحسنه الترمذي مع أنَّ فيه أبا صالح باذام وهو ضعيف.

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٠) (٩٤).

(٣) أخرجه مسلم (٩٦٩).

(٤) أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧) (٥١١) و(٥١٢) من حديث أبي هريرة.

وأخرجه البخاري (١١٩٧) و(١٩٩٥) ضمن حديث عن أبي سعيد الخدري.

وابن خيرنا . . وسيدنا وابن سيدنا، فقال: أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبدالله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل»[1] وبحديث البخاري[2]: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم».

ومن المعروف أن المسؤولية الفردية أساس عظيم، ومفخرة من مفاخر الإسلام:

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ﴾ [النجم: ٣٩-٤١].

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨].

وإذا كان هذا هو الأصل في كون الأعمال الصالحة هي أعمال شخصية لكل إنسان، فإن هناك أيضاً استثناءات رحمة من الله بعباده، كالحج بالنيابة عن الغير عاجزاً أو ميتاً، والشفاعة

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١٥٣ و٢٤١ و٢٤٩، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٤٩).

(٢) رقم (٣٤٤٥).

للميت بالصلاة عليه والدعاء له.

ويذكر الجبرتي في تاريخه أن هدم القباب المبنية على القبور (وهو ما أثار ولا يزال حواراً واسعاً بين المسلمين) قد تم: «بعد المناظرة مع علماء تلك الناحية، وإقامة الحجة عليهم بالأدلة القاطعة التي لا تقبل التأويل من الكتاب والسُنّة، وإذعانهم لذلك» فأتباع ابن عبدالوهاب لم يهدموا القباب في المدينة وغيرها بقوة السيف، ولا بسطوة الفتح، ولكن بعد محاورة تستند إلى الكتاب والسُنّة وبعد الاعتماد على الأدلة القاطعة بأن الإسلام قد جاء «لتوحيد الألوهية وإنهاء الشرك».

ويثبت الجبرتي أن «الوهابيين» في ١٥ رجب سنة ١٢٢٠هـ لم يحدثوا حدثاً في المدينة غير منع المنكرات وشرب الدخان في الأسواق، وهدم القباب ما عدا قبة الرسول ﷺ، خلافاً لما يزعمه بروكلمان من أنهم خربوا القباب الضخمة التي تظلل قبر الرسول عليه السلام، وجردوها من جميع النفائس التي تزينها[1].

(١) انظر مقال جلال الكشك في مجلة الحوادث، عدد ١١٧٤، ص٦٩

ويبين الجبرتي منذ قرن ونصف مصير هذه النفائس، بأنه تمّ إنفاق المال والمجوهرات المرصودة في الحجرة النبوية لصالح المسلمين، كما يذكر الشيخ عبداللطيف آل الشيخ أن صرف ذلك المال في أهل المدينة ومصالح الحرم وجهاد الأعداء كان بإفتاء أهل المدينة من أتباع المذاهب الأربعة.

كما يذكر الجبرتي أن الوهابيين لم يمنعوا الحج، بل منعوا البِدع التي كانت تصاحب المحمل المصري ـ الشامي[1].

وخلاصة القول: أن آراء الإمام محمد بن عبدالوهاب السابقة هي شرعية المبدأ والهدف، والنزعة والمصير، ولكن لم تسلم هذه الدعوة كأي دعوة إصلاحية من قادح ومادح، ومن مؤيد ومعارض، ويظل تقويم الأعمال والاتجاهات ومبادىء المصلحين هو للإسلام الباقي الخالد، الممثل في القرآن والسُنّة أولاً وأخيراً.

شهر أيار (مايو) ١٩٧٩، تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان: ٤/٢٢.

(١) مقال الكشك، السابق: ٦٩ـ٧١.

وحينئذ تتبدد تخرصات وأقاويل المغرضين، ولا سيما إذا وقفت السلطة في وجه أي حركة إصلاحية، وشنت عليها حرباً دعائية، ومسلحة أحياناً ضدها، كما فعلت السلطة العثمانية، ووالي مصر محمد علي وأبناؤه طوسون وإبراهيم وغيرهم من السلاطين بالتحريض على ضرب «الوهابيين» دفاعاً عن مصالحهم وليس عن الإسلام أو المسلمين، كما بينا.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله.